@ 228 @ خسرتم دنياكم ، بما فاتكم من النصر على الأعداء ، وفتح بلادكم . وآخرتكم ، بما فاتكم من الثواب ، وما استحققتم بمعصيتكم من العقاب . فقالوا قولا ، يدل على ضعف قلوبهم ، وخور نفوسهم ، وعدم اهتمامهم بأمر ا ورسوله . ! 2 2 ! شديدي القوة والشجاعة ، أي : فلهذا من الموانع لنا من دخولها . ! 2 2 ! . وهذا من الجبن وقلة اليقين . وإلا ، فلو كان معهم رشدهم ، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم ، وأن القوي ، من أعانه ا بقوة من عنده ، فإنه لا حول ولا قوة إلا با . ولعلموا أنهم سينصرون عليهم ، إذ وعدهم ا بذلك ، وعدا خاصا . ! 2 2 ! ا تعالى ، مشجعين لقومهم ، منهضين لهم على قتال عدوهم ، واحتلال بلادهم . ! 2 2 ! بالتوفيق ، وكلمة الحق ، في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم ، وأنعم عليهم بالصبر واليقين . ! 2 2 ! أي : ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم ، وتدخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه عليهم ، فإنهم سينهزمون . ثم أمرهم بعدة هي أقوى العدد فقال : ! 2 2 ! . فإن في التوكل على ا وخصوصا في هذا الموطن تيسيرا للأمر ، ونصرا على الأعداء . ودل هذا على وجوب التوكل ، وعلى أنه بحسب إيمان العبد ، يكون توكله . فلم ينجع فيهم هذا الكلام ، ولا نفع فيهم الملام ، فقالوا قول الأذلين : ^ (يا موسى ، إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون) ^ . فما أشنع هذا الكلام منهم ، ومواجهتهم به لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق ، الذي قد دعت الحاجة والضرورة فيه إلى نصرة نبيهم ، وإعزاز أنفسهم . وبهذا وأمثاله ، يظهر التفاوت بين سائر الأمم ، وأمة محمد صلى ا عليه وسلم ، حيث قال الصحابة لرسول ا صلى ا عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم (بدر) مع أنه لم يحتم عليهم : يا رسول ا ، لو خضت بنا هذا البحر ، لخضناه معك ، ولو بلغت بنا برك الغماد ، ما تخلف عنك أحد . ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى : ^ (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ^ . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك ، وعن يسارك . فلما رأى موسى عليه السلام ، عتوهم عليه ! 2 2 ! أي : فلا يدان لنا بقتالهم ، ولست بجبار على هؤلاء . ! 2 2 ! أي : احكم بيننا وبينهم ، بأن تنزل فيهم من العقوبة ، ما اقتضته حكمتك . ودل ذلك ، على أن قولهم وفعلهم ، من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق . ^ (قال) ^ مجيبا لدعوة موسى : ! 2 2 ! أي : إن من عقوبتهم ، أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبهم ا لها ، مدة أربعين سنة . وتلك المدة أيضا ، يتيهون في الأرض ، لا يهتدون إلى طريق ، ولا يبقون مطمئنين . وهذه عقوبة دنيوية ، لعل

ا تعالى ، كفر بها عنهم ، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها . وفي هذا ، دليل على أن العقوبة على الذنب : قد تكون بزوال نعمة موجودة ، أو دفع نقمة ، قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها ، إلى وقت آخر . ولعل الحكمة في هذه المدة ، أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات . بل قد ألفت الاستعباد لعدوها ، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها . ولتظهر ناشئة جديدة ، تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء ، وعدم الاستعباد ، والذل المانع من السعادة . ولما علم ا تعالى ، أن عبده موسى ، في غاية الرحمة على الخلق ، خصوصا قومه ، وأنه ربما رق لهم ، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة ، أو الدعاء لهم بزوالها ، مع أن ا قد حتمها ، قال : ! 2 2 ! أي : لا تأسف عليهم ولا تحزن ، فإنهم قد فسقوا ، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم ، لا ظلما منا . ^ (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل ا من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني مآ أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف ا رب العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزآء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث ا غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل ه ذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين) ^ أي : قص على الناس ، وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق ، تلاوة يعتبر بها المعتبرون ، صدقا ، لا كذبا ، وجدا ، لا لعبا . والظاهر أن بني آدم ، هما ابناه لصلبه ، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق ، وهو قول جمهور المفسرين . أي : اتل عليهم نبأهما ، في حال تقريبهما للقربان ، الذي أداهما إلى الحال